بحث محكم | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 24 ديسمبر 2021

من المناهج التعليميّة والبحثيّة
الدرس الجامعي ومقتضياته أنموذجا

الساسي بن محمّد ضيفاوي
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

ملخّص

تعدّ طرائق التدريس من المواضيع المهمّة إجرائيا وتطبيقيا في نحت مجهود المتعلّم ومساعدته، وتمكينه من الاستعداد المنهجي والبحثي والمعرفي، حتى يقوم بالدور المنوط بعُهدته والمتوقّع منه مستقبلا في خدمة مجتمعه وتطويره والنهوض به، خاصّة في ظلّ التحدّيات المتواترة التي يُمليها عصرُ التقنيات والثقافة الرقمية وتفجّر المعرفة وتطوّر العقل الإنساني.

والجدير بالتذكير في هذا الجانب، أنّ الدرس الجامعي لا يمكن أن يحقّق أهدافه الإجرائية والمعرفية والمنهجية والبحثية والمجتمعية، إلاّ إذا توفرت له عديد التقنيات، وهي مواصفات موصولة بالباحث من جهة، باعتباره يتحمّل مسؤولية البحث، ومسؤولية ما يقدّمه من مضامين، وكيف قرأ هذه المباحث؟ وهل وفّق في تقديمها تقديما علميا؟ ومن جهة أخرى، فإنّ هذه المواصفات موصولة كذلك بمتن البحث ومقتضيات الدرس الجامعي وعوائق البحث العلمي والحلول الممكنة لتخطيها، وهو ما سنحاول أن نتناوله في هذه الورقة البحثية.

وتبدو قيمة هذا المبحث بناءً على أنّ أمر المنهجية صار على درجة كبيرة من الأهمية في مختلف الحقول المعرفية والعلمية والسياسية والاقتصادية، ونحن نروم أن نوفّر مادة علمية وأكاديمية يوظّفها الدارس والباحث في منجزه العلمي في ضوء منهجية تجعل بحثه بيّنا وواضحا ومنتظما.

والحقّ أنّ هذا البحث يمثّل خلاصة تجربة في التدريس والتأطير في الجامعة التونسية، وهو عبارة عن درس تطبيقي في الإنجاز والبحث والتأهيل العلمي، يوظّفه الباحثُ في الدرس الجامعي بصورة مخصوصة، حتى يصبح قادرا على التعامل مع آليات البحث وتقنيات الكتابة وانتقاء العُدّة المنهجية التي تتواءم مع موضوعه أو أطروحته، ونحن نروم في هذا العمل إلى توفير تصوّر أكاديمي منهجي للتعامل مع المواضيع والمقالات ونصوص الامتحانات والدروس والمقاربات البحثية والمدوّنات، ومعرفة كيفية التعامل معها لتصبح تدريبا على أصول البحث، ودُربة على المنهاج والتخطيط وتبويب الأفكار والمضامين والنظر في مختلف المقاربات.

وقد اخترنا هذا المبحث موضوعا للدراسة والتحليل والحوار لما له من أهمية أكاديمية، ولكثرة تواتره ودورانه بين الخاصّة والعامة دون مستندات علمية، يضاف إلى ذلك حاجة الباحث والطالب إلى عمل من هذا النوع يفتح الآفاق، ويختصر المسافات ويجنّبه التلقين، ويمكّنه من تقديم الإضافة والتعمّق في مختلف المسائل.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن نعتمد منهجا متعدّد المداخل. أمّا الأوّل، فيجمع بين التوصيف والتحليل والهدف منه رصد بعض المواصفات الموصولة بالباحث والدرس الجامعي، وأمّا الثاني فتفكيكي ينطلق ممّا نقف عليه في سؤال المنهج في الدرس الجامعي، وأمّا الثالث فنقدي هدفه النظر في بعض الإكراهات المنهجية ورصد بعض العوائق البحثية والوقوف على الحلول الممكنة في رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه.

واستدعت طبيعة البحث أن ينهض على ملخّص هو عبارة عن تمهيد وأربعة محاور **أوّلها**، مواصفات الباحث على غرار استخدام المنهج العلمي والتحلي بالموضوعية والانفتاح الفكري وأدبيات المناقشة وإبداء الرأي، و**ثانيها**، قراءة موصولة بصفات الدرس الجامعي متنا ومنهجا و**ثالثها**، الوقوف على سؤال المنهج في الدرس الجامعي على نحو منهج شرح النصوص وتحليل المقال و**رابعها**، رصد بعض الإكراهات المنهجية المتعلّقة برسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، والنظر في عوائق البحث العلمي بصورة عامّة والحلول الممكنة التي في ضوئها يقع تخطي هذه الصعوبات البحثية والمنهجية، وخاتمة تشمل أهمّ النتائج والتوصيات التي يستأنس بها.

I- من صفات الباحث

يحتاج الدرسُ الجامعيُ في التعليم العالي إلى دراية واسعة وعُدّة علمية ومنهجية، على غرار تدقيق المصطلحات والمفاهيم وتحديدها تحديدا علميا وذلك بالاستناد إلى المعنى المُعجمي والمعنى الاصطلاحي والمعنى الإجرائي، ويراعي الأستاذُ الباحثُ المعاني الثلاثة والمعنى المشترك فيما بينها، مثلما وجب عليه أن يأخذ في الحسبان سياقات النصّ المقامية والبنيوية والزمنية والمكانية، وأن يتسلّح بكلّ العلوم الإنسانية التي تساعده على فهم النصّ واستنطاق معانيه ومقوله، وهذا النوع من البحث يتطلب النضج الفكري والتعمّق في دراسة النصّ وتحليل الأحداث والمسائل والقضايا والإشكالات الواردة فيه، ولا يكون ذلك كذلك إلاّ إذا كان الباحثُ قادرا على الإلمام بقواعد الاستنباط والبحث والتمحيص والنقد والمقارنة حتى يُثبت أنّ ما توصّل إليه من مضامين وأفكار هي مقاربات قد تلامس الحقيقة.

وتتمثّل مهمّة الأستاذ في مساعدة الطالب وإغناء معلوماته في مواضيع معيّنة وحقول معرفية مخصوصة وفق اختصاصه، وتحفيزه على الاعتماد على النفس في دراسة المشكلات وإصدار أحكام بشأنها، واتّباع الأساليب والمناهج العلمية المعتمدة في الدرس الجامعي، وتعويده على استخدام الوثائق والكُتب والقواميس والمناجد والموسوعات ومصادر المعلومات والتراث[1]، وتنبيهه إلى ضرورة معالجة المواضيع بموضوعية ونزاهة ونظام في العمل دون تشنّج وتعصب، بعيدا عن المنافحة الإيمانية والتمجيد والعمل الإيديولوجي الضيّق، ولا يتأتى للأستاذ كلّ ذلك إلاّ إذا كان **منهجيا** في درسه عرضا وشرحا وتحليلا، و**موضوعيا** في نقده وتعليقه، و**منفتحا** على كلّ العلوم الإنسانية الأخرى التي تسهم في إغناء درسه، وهي من المواصفات التي يجب أن يتسم بها الأستاذُ حتى يرقى درسه إلى درجة أكاديمية.

1- استخدام المنهج العلمي

نقصد بالمنهجية العلمية الخطوات المنظمة التي يتّبعها الدارسُ في تناول المواضيع التي يروم دراستها إلى أن يصل إلى نتيجة أو نتائج معيّنة، والذي يمكن أن نؤكده أنّ المنهج هو تنظيم عقلي معيّن يقوم على عدد من المراحل التي يسترشد بها الباحثُ[2] على غرار **الاستقراء والاستنباط والقياس**؛ ففي الاستقراء ينطلق

1- لمزيد الإفادة في قراءة التراث والتوسع في إشكالاته والتعمّق في مناهج تحقيقه وطرائق نقده ومراجعته عند العرب القدامى وعند المحدثين، انظر عبد التواب (رمضان) **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1985

2- انظر أهمية المنهج ومركزيته في البحث العلمي بناءً على أنّه يكفل لنا الهدف المعرفي ويحقق «**مجموعة القواعد أو الضوابط المفضية إلى نتائج حتمية لها عند عدم وقوع الخطأ في استعمالها**».

الحسن (طلال) **مناهج تفسير القرآن، من أبحاث كمال الحيدري**، ط1، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، طهران، [د. ت] ص 25

وانظر في السياق ذاته **أنّ المنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح، والسلوك البيّن، والسبيل المستقيم**.

صليبا (جميل) **المعجم الفلسفي**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ج2، ص435

الباحثُ من الجزئيات إلى العام، بينما الاستنباط هو الانطلاق من قضايا عامّة ليتوصّل منها إلى الحقائق الجزئية، ثم ينظر في هذه النتائج وَفق القياس المنطقي، ولا يكون ذلك إلاّ بالوقوف على مختلف العناصر المفصلية في الحقل المعرفي المطلوب دراسته وبحثه.

إلى جانب الاستقراء، والاستنباط، والقياس، يستخدم الباحثُ الطريقة **الاستنتاجية** التي تتمثّل في استخلاص عدد من النتائج والملاحظات التي تبقى دوما نسبيّة قابلة للمراجعة، والنقد، والتثبّت، والسؤال، وفي اعتقادنا أنّ دقّة الملاحظة والوصف واختبار الحقائق والمضامين والأفكار اختبارا منطقيا وعلميا من التقنيات التي تُسهم في نجاح العملية الاستنتاجية والمنهجية، على غرار التثبّت من البُعد اللغوي، وسياقات النصّ، وترابط الجُمل، ودراسة المُعجم، وفهم الإشكالية، وتحليل المصطلحات، وتحديد العناصر الأساسية، وهي من الخطوات التي تُحيل على أنّ الباحث قد فهم معالم مشكلة البحث وأبعادها، وحاول أن يستغل كلّ خبراته ومهاراته في حلّ تلك المشكلة، مرورا ببلورة أفكاره المناسبة للمشكلة المطروحة على أساس البيانات المتوفّرة لديه من مصادره الذاتية أو المصادر الأخرى.

وإذا جمعنا ما سبق من عناصر وملاحظات، أمكننا القول إنّ استخدام المنهج العلمي الصحيح الهادف يلعب دورا مهمّا ومفصليا في تناول الموضوع المزمع دراسته، وهو منهج يُلزم الباحث على عدم إبداء رأيه الشخصي دون تعزيزه بآراء لها قيمتها الأكاديمية تستند إلى حجج علمية وبراهين منطقية، والتقيّد بإخضاع أي فكرة أو أي رأي للنقاش والحوار مهما كانت درجة الثقة به، إذ لا توجد حقيقة مسلّمة ومطلقة، مثلما يجب على الباحث أن يلتزم الدقّة في الروايات، والأمانة العلمية في الاقتباسات والتواريخ والمدلولات التي يسوقها حتى يتوصّل إلى النتائج المطلوبة، وإلاّ فقدت الدراسة قيمتها العلمية وجدواها، لذلك فهو مطالب بأن يلتزم بجميع القواعد المنهجية المطلوبة، فإنّ عدم استعمال المعارف المتعارف عليها في ميدان البحوث الأكاديمية يحُول دون حصول الباحث على النتائج العلمية المرجوّة[3].

2- الموضوعية

يتميّز الدرس الجامعي في مناهجه عن بقية الأساليب الفكرية بعدّة خصائص وجب أن يلتزم بها الباحثُ في بحثه وتقديم درسه وَفق المقاييس العلمية الدقيقة، ومن بين هذه الخصائص الموضوعية فيما يُقدّمه من حقائق وما يُدرجه من وقائع التي قد تدعم وجهة نظره ومقاربته، ومن مياسم الموضوعية وجب عليه أن لا يغفل الحقائق التي تتضارب مع منطلقاته وتصوّراته، حتى تكون النتائج التي يروم أن يُحققها نسبيّة

3 - N, DA (Paul) **Recherche et Méthodologie en sciences sociales et humaines**, éd. L,Harmattan, Paris, 2015
Chapitre 7**, L,Analyse des données** , P , 167
Chapitre 8**, La discussion des résultats**, P, 187

ومنسجمة مع أصول البحث العلمي. وعلى الباحث أن يتقبّل ذلك ويعترف بالنتائج المستخلصة حتى لو كانت لا تتطابق مع تصوّراته وقناعاته وتوقّعاته.

وحتى يكون الباحثُ موضوعيا يجب عليه الابتعاد عن إصدار الأحكام النهائية والمطلقة، وضرورة التأني، وعدم الانتصار لجهة معيّنة أو معتقد مخصوص، أو التعصّب لفكرة أو جهة أو ملّة أو مذهب، إذ يجب أن تصدر الأحكام استنادا إلى البراهين والحجج والحقائق التي تثبت صحّة النظريات والافتراضات الأولية، وبمعنى أدقّ ضرورة اعتماد الباحث على أدلّة كافية قبل إصدار أي حُكم، أو التحدّث عن نتائج تمّ التوصّل إليها.

3- الانفتاح الفكري

حتى يكون مقدّم الدرس الجامعي باحثا أكاديميا بعيدا عن كلّ التجاذبات والتهافت، يجب أن يكون ذهنه منفتحا على كلّ تغيير في النتائج المتحصّل عليها في بحثه، والاعتراف بالحقيقة، وإن كانت لا تخلو من مرارة أو تضارب مع قناعاته، وأن يقبل رأي الآخر وإن كان مُغايرا له، وأن يتمسّك بالروح العلميّة والتوق إلى البحث عن الحقيقة، والابتعاد قدر الإمكان عن السخرية والتنابز والحطّ من قيمة الآخرين، ومجانبة التزمت والتشبّث بالرؤية الأحادية والمنافحة الإيمانية والتمجيد والانتصار لجهة دون أخرى.

ويقودنا الحديث عن الانفتاح الفكري الذي يجب أن يتميّز به الباحثُ إلى أمرين اثنين على الأقلّ في هذا السياق؛ **الأوّل** المسألة الدّينية في علاقتها بالدرس الجامعي ومنهج الباحث، والأمر **الثاني** المسألة الألسنية، باعتبارها موصولة منهجيا وإبستيميا بالبحث والباحث.

ممّا لا شكّ فيه أنّ المسألة الدّينية من أبرز القضايا التي لا يخلو منها تقريبا أي نصّ حضاري، نظرا إلى مركزية هذه المسألة في مختلف المباحث الحضارية والعلوم الإنسانيّة، بصرف النظر عن مرجعية هذا الدّين، قد تكون بوذية أو مجوسية أو يهودية أو صابئة أو يهودية أو نصرانية أو إسلامية، لذلك وجب على الباحث أن يُحسن النظر في هذه القضايا وأن يُحلّلها تحليلا موضوعيا بعيدا عن التمجيد والمنافحة أو الدونية والحطّ من قيمتها، وأن يميّز بين الدّين، والتفكير في الدّين، ونمط التديّن الشعبي القائم على الخرافة والتصديق الأعمى، فالأولوية وجب أن تُعطى للمنهج العلمي الذي يستند إلى الألسنيات، وعلم النفس الدّيني، وعلم الاجتماع، والفلسفة، وتاريخ الأديان، وليس للمؤسسة السياسية التي تحتكر عن غير حقّ تقنين المعتقد وتأويل النصوص تأويلا يخدم مصالحها، وتدّعي لنفسها العصمة، وترفض الرأي المخالف، وتتخذ النّاس قطيعا تتصرّف في حياتهم وَفق مصالحها.

لذلك، وجب أن يقوم الدرسُ الجامعي على بلورة مقاييس عقلانية جديدة في مقاربة النصّ الدّيني وفهمه[4]، بدل المناهج التقليدية القائمة على النقل والتوصيف والسطحية والتلقين، وهذا يستدعي بالضرورة تحويل الممارسة الدّينية إلى خيار فردي حرّ، وإعلان حرية المعتقد لكلّ إنسان بقطع النظر عن لونه أو دينه أو لسانه أو مكانته أو جنسه[5].

أمّا المسألة الثانية التي يجب أن نشير إليها في علاقتها بالباحث والدرس الجامعي، فتتمثّل في مدى تمكّن الباحث من معرفة هذه الحقول العلمية الموصولة بالألسنية، وكيفية توظيفها، ثم مدى إسهام اللسانيات في إغناء الدرس الحضاري وفهمه، لأنّ علوم اللغة ترتبط بالفلسفة والمنطق ومناهج التأويل الدّيني، ولعلّ تعدد المدارس اللسانية من قبيل المدرسة البنيوية، والمدرسة الوظيفية، والمدرسة التوليدية التحويلية، والمدرسة التداولية ونحوها من المقاربات الألسنية، هو دليل واضح على علاقة النصوص بمختلف حقولها النقدية والأدبية والشعرية والحضارية بهذه المدارس وحاجتها الماسة إليها[6].

4- أهميّة المناقشة وإبداء الرأي والحوار

حتى يُحقق الأستاذُ تفاعلا إيجابيا بينه وبين الطالب من ناحية، وبين الطالب والدرس الجامعي من ناحية ثانية، وبين الطلاب أنفسهم والمحضن الثقافي والاجتماعي في بُعده المحلي والكوني من ناحية أخرى، وجب على الأستاذ أن يخصّص مساحة زمنية كافية للإنصات والحوار والنقاش وإبداء الرأي والتفاعل فكريّا وعلميّا وَفق ما قدّمه أو اقترحه من مُقاربات علميّة.

وطريقة التدريس هذه قد تكون شفوية مثلما يحدث في طريقة الشرح والمحاضرات والمناقشات والندوات، وقد تكون سمعية بصرية، وقد تكون تطبيقية يقوم بها الطالبُ على غرار تقديم البحوث والأطروحات، كلّ ذلك وَفق خطة مخصوصة وإستراتيجية مدروسة سلفا.

والجدير بالتذكير في هذا الجانب، أن يكون الدرس الجامعي بعيدا عن الخلفيات النفسية المحبطة، والإيديولوجيات المؤطرة، وأن لا يكون المنهج منهجا تلقينيا غايته حشو الأدمغة وجمع المعلومات، بل وجب على الأستاذ أن يأخذ في الاعتبار الأهداف التربوية والعلمية والبحثية والأكاديمية المراد تحقيقها، ونمط

4- راجع في ذلك، المحاسبي (الحارث بن أسد) **العقل وفهم القرآن**، تحقيق حسين القوّتلي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1971، انظر جزء **فهم القرآن ومعانيه**، ص 261 وما بعدها.

5- انظر، الرومي (فهد بن عبدالرحمان بن سليمان) **منهج المدرسة العقلية في التفسير**، ط2، إدارات البحوث العلمية، السعودية، 1983. وقفنا في هذا السياق على مقاربات المدرسة العقلية الحديثة من قضايا قرآنية على غرار الوحي والمعجزات ومفهوم القضاء والقدر السلبي والإيجابي ومصير الإنسان وأصله ونحو ذلك من القضايا المشكلية. ص 479-647

6- قراملكي (أحد) **مناهج البحث في الدراسات الدينية**، تعريب سرمد الطائي، ط1، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، لبنان، 2004

انظر تنوّع المناهج والمقاربات والاتجاهات والمدارس في التعامل مع النصوص بصفة عامة والنصوص الدينية بصفة خاصة، ص236 وما بعدها.

المحتوى العلمي المراد تدريسه، والخصائص الفنية والتقنية والمهنية التي يصبو المحاضرُ إلى تحقيقها، مثل سرعة البديهة، والفهم، وقدرة التقبّل والتمثّل، وملكة النقد عند الطالب، يضاف إلى ذلك سعي الباحث إلى أن يُحقق الشروط الموضوعية والمادية المتوفّرة في المحيط التعليمي مثل التسيير الإداري والإشراف العلمي.

ومهما كان الدرس الجامعي، **محاضرة** أو **تفسيرا** أو **عرضا**، وإن اختلفت الطرق والمناهج، فإنّ الحوار والنقاش وإبداء الرأي والنقد تبقى من الأمور المفصلية والمركزية فيه. والمحاضرة هي عبارة عن عرض شفوي يخاطب فيها المحاضرُ الطلبة، وهي تشبه طريقة الإلقاء إلى حدّ كبير، غير أنّه لا يُسمح فيها للمتلقي بالسؤال في أثناء المحاضرة وإنّما بعد الانتهاء منها، أمّا الشرح فهو طريقة يتناول فيها الأستاذُ المادة الدراسية بالتفسير والتوضيح، ويشرح كلّ جزء من أجزائها بشكل تدريجي وتشريك الطلبة إلى أن يصل إلى نهايتها، وبذلك يتمثّل الطالبُ المادة التعليمية المقترحة التي شارك في إنتاجها. بيد أنّ العرض يتمثّل في ما يقترحه الأستاذُ من مشاريع عمل مختلفة موصولة بالمسألة المقرّرة، ويطلب من الطلاب الإعداد لهذا العمل قصد تقديمه أمام زملائهم الذين يسهمون فيه بالمناقشة والإغناء.

وكلّ هذه الأشكال المنهجية والبيداغوجية وجب أن لا نُغيّب عنها الحيز الزماني في الدرس الموصول بالحوار والنقد والمراجعة والاستماع إلى رأي الطالب، من خلال ما يطرحه من سؤال أو أسئلة أو موضوع مخصوص أو مشكلة معيّنة، وقد يشترك الطلبةُ في مناقشتها ومحاورتها وإبداء الرأي فيها، بحيث يعبّر كلُّ طالب عن وجهة نظره الخاصّة، وبذلك يتحوّل الدرسُ من إملاء وتلقين وحشو، إلى إنتاج معرفة، وتبادل آراء، ونقد أطروحات، وتنسيب أفكار، وتصويب بعضها، وطرح أسئلة وأجوبة.

لعلّ بعضا من هذه الشروط العلميّة التي تناولناها بالدرس من قبيل اتصاف الباحث بالموضوعية العلمية، واستخدام المنهج العلمي، وانفتاحه فكريا وإبستيميا على الآخر وعلى علوم الإناسة، وإيفاء مسألة النقد والحوار والمراجعة الفكرية والمناقشة وإبداء الرأي الأهمية اللازمة، كلّ هذه التقنيات تُحيل على خصوصية البحث ومواصفات الباحث[7]، وتمكّننا من تأمين درس جامعي قد يرقى إلى المستوى الأكاديمي يُراعى فيه قُدرات الطالب وميوله واستعداداته ورغباته، لعلّنا بذلك نجعله مفكّرا باحثا ناقدا منخرطا في العملية البحثية والعلمية، متمتّعا بشخصية مستقلّة، قادرا على الاعتماد على نفسه في إنجاز المشروع الذي

7- يجب أن يكون الباحث متمكنا من الخطوط العريضة لمراحل كتابة البحث مثل اختيار الموضوع والإعداد للبحث وتدوين المعلومات ومقدّمة البحث وخاتمته وفهارسه ونحو ذلك من الضوابط المنهجية والإبيستيمية.

انظر في ذلك: الشامي (عبد الله محمّد) **أصول منهج البحث العلمي وقواعد تحقيق المخطوطات**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2012، ص 54

والحقّ أنّ اختيار عنوان البحث وموضوع الرسالة العلمية وخطوات كتابة البحث العلمي ومنهجه واختيار المصادر والمراجع، كلّ هذا وغيره ينضوي ضمن ثلاثية البحث والباحث والإشراف العلمي.

راجع في ذلك: العسكري (عبود عبد الله) **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ط2، دار النمير، دمشق، سورية، 2004، ص 17-28

كُلّف بإعداده على غرار رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه، وهو أمر لا يتطلّب المواظبة والجديّة والموضوعية والنظام وكلّ ما ذكرناه من صفات الباحث فقط، بل يجب على الطالب أن يعود إلى أستاذه المشرف من وقت إلى آخر إلى أن يُنهي بحثه.

II- من صفات الدرس الجامعي

نشير في البداية إلى أنّ الدرس الجامعي هو مصطلح يعسر علينا تحديده تحديدا صارما؛ لأنّ فيه من النصّ الحضاري والتاريخي جانبا، وكذلك من فنّ الجغرافيا وعلم الرواية أحيانا، مثلما يحمل من الأدب واللغة طرفا، ومن الفقه جانبا، وربّما من السيرة جزءا، ولعلّ فيه أحيانا من الفكر العلمي قليلا، فهو بهذا على مشارف الاختصاصات العينية يأخذ منها دون أن يكون تابعا لها.

ونعتقد أنّ الدرس الجامعي لا يستقيم في ظلّ غياب البحث العلمي الجاد والموضوعي الرصين، وطرق التدريس والمناهج الحديثة، والبرامج الثرية التي تستند إلى البحث والنقد والمقارنة، والانفتاح على كلّ الحضارات الإنسانية الأخرى، لعلّه بذلك يمكن أن يشهد تحولا مفصليا في أساليب تدريسه ومناهجه ومضامينه وأنماط التعليم، واستحداث الاختصاصات الحديثة التي تُغني الدرس الجامعي وتكون بمثابة الروافد المفصلية في تأسيسه مثل الألسنية والسيميائية والأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع الدّيني وعلم النفس الدّيني والفلسفة والرياضيات والطبّ والصيدلة والهندسة والفيزياء والكيمياء ونحو ذلك من علوم الأناسة والعلوم الصحيحة حتى يكون الدرسُ مسايرا لمتطلبات العصر وتحدياته واقتصاد المعرفة والثورة الرقمية، وحتى يكون موضوعيا وأكاديميا وجب أن تتوفّر فيه جملة من التقنيات والمواصفات منها:

1- بيان هُوية الدرس وحدوده

إنّ صياغة موضوع الدرس الجامعي صياغة علميّة بحثية ضمن حدود موضوعية وزمنية ومكانية ومقامية، تُجنّب الباحث كلّ ما يمكن أن يكون استطرادا وحشوا وتلقينا وخروجا عن موضوع البحث، لأنّ الخوض في العموميات تُبعد الباحث عن البحث بعمق في بحثه، وتُحيل على أنّه لم يُنجز درسه قبل أن يُقدّمه إنجازا أكاديميا وافيا يتحوّط فيه من كلّ النقائص والهنات، يُضاف إلى ذلك اختيار العنوان الواضح والشامل للدرس، من المقاييس التي تُضفي فكرة أوليّة على معالم الدرس وأهدافه.

إنّ الاختيار المناسب لعنوان الدرس أمر ضروري للتعريف بفحوى الدرس ومضامينه، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلاّ إذا توفّرت ثلاثة شروط على الأقلّ في العنوان: **الشمولية** أي أن يشمل العنوان بعباراته المجال

الدقيق المحدّد لموضوع البحث، ثم **الوضوح**، فيجب أن تكون مصطلحات العنوان وعباراته المستخدمة واضحة، و**الدلالة** وهي تعكس موضوع البحث ودلالاته دلالة جليّة بعيدا عن العموميات.

2- منهجية الدرس الجامعي

حتى نتمثّل الدرس الجامعي تمثّلا صحيحا وواعيا يجب أن نشرحه ونحلله تحليلا أكاديميا بإحدى الطرائق الثلاث الممكنة.

أولا، شرحا خطيّا ينهض على الترتيب والتدرّج وَفق بنية الدرس الأصلية، وذاك المنحى في التحليل يدفع إلى نوع المشغل الذي يهتم به صاحبُ النصّ مثلا في العلوم الإنسانية والاجتماعية والحقوقية والإعلامية في نصّه، كأن يكون النصّ في أصول الدّين، أو في الأحكام، أو في القراءات، أو في علوم القرآن، أو في التشريع، أو في الإحصاء، أو في القانون، فكلّ هذه المباحث يمكن أن تُلزم بتتبع النصّ في خطابه وسياقاته ومفاهيمه ومضامينه تتبعا ترتيبيا تعرضا للأحكام أو لوجوه الأحكام أو للأصول واحدا واحدا في غير إغفال لجزئية منها.

ثانيا، يمكن شرح النصّ وَفق جنسانيته بالطريقة المحورية، وتتمثّل في استخراج مشاغل النصّ وتبويبها في ضوء منطلق صاحبها الظاهر، وهذه الطريقة تُلزم برصد كلّ الجُمل والتراكيب ووجوه الصياغة وفنون العبارة المبثوثة في كامل النصّ من أجل جمعها في باب المسألة الواحدة التي نروم تحليلها، وفي هذه الطريقة مرحلتان: مرحلة التفكيك وتتمثّل في نظام التدرّج في الخطاب ونظام التعالق بين الجُمل والتراكيب والعبارات، ومرحلة التركيب وهي غير البناء، وإنّما هي إعادة البناء، وفي الإعادة تصرّف في البناء الأصلي وتأوّل لدلالة العلامات ونظامها في النصّ.

ثالثا، الطريقة الاصطلاحية وتتمثّل في اعتماد المُصطلح في تحليل النصّ، ذاك إن كان النصّ مبنيا على المصطلحات، باعتبار أنّ المصطلح هو اللفظة التي تفارق معناها المُعجمي إلى دلالات أخرى مكتسبة من فنّ من الفنون أو مبحث من المباحث أو مرحلة ثقافية من المراحل.

والمراد في هذه الطريقة هو البحث عن تجديد العلاقات الواصلة والفاصلة بين المصطلحات، حيث يظهر وجه التعاضد والتعالق من جهة، ووجه الاختلاف والتباين من جهة أخرى، بيد أنّ الدارس وجب عليه أن يروم طريقة تأليفية؛ لأنّها تُسلّم بأنّ النصّ وحدة متلاصقة في كلّ جزئياتها.

وقد يذهب البعضُ إلى القول بالفصل بين التحليل والنقد، وكأنّ النقد مرحلة تقويمية لاحقة مفصولة عن عملية الشرح والتحليل واستنباط الدلالات، والواقع أنّ الناظر إلى النصّ هو ناقد كلّ آن، هو ناقد في تحديد

الدلالة وتحديد أصولها ومراجعها وطريقة صياغتها، وهو ناقد في النظر إلى الحجّة وتمحيصها، باعتبار أنّ النقد هو فحص الظاهرة وتمييز الأصل فيها عن الزائد، وهو ناقد في اختيار هذا المنهج دون غيره واختباره في شرح النصّ وتحليله وتفكيكه والتعليق عليه، وهو ناقد فيما أبداه من آراء وملاحظات ومراجعات بناءً على مقاييس علميّة وموضوعيّة دون محاباة أو إقصاء أو منافحة إيمانية أو انتصار لإيديولوجية[8].

ويمثّل المصطلح عنصرا أساسيا في الدرس الجامعي بمختلف اختصاصاته؛ لأنّه يبيّن إطار المفاهيم التي يتقيد بها صاحبه، ويحسن أن نميّز فيه -إذا توفّر ذلك- بين صنفين من المصطلحات تمييزا للعلاقات بينهما، المصطلح **المركز** وعليه يقوم النصّ، والمصطلحات **الفرعية** التي تسهم في نسج النصّ وحبكه ونظام دلالاته. لهذا، وجب في التحليل النظر في هذين الصنفين من العلاقات، بل وجب أن نعمل على تفكيك العلاقات بين المصطلحات، كما يجب على الباحث أن ينظر في الدرس الجامعي حضارة ودينا وتاريخا ولسانيات ونحوها من العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة حجّة المخالفين وطُرقها، إمّا بتبنّيها بعد استصوابها، أو بعد تقويمها وتعديلها، أو برفضها جُملة وذلك وَفق ما يقتضيه المقامُ، مثلما وجب أن ينظر الباحثُ في الإحالات، وهي غالبا ما تكون ظاهرة وضامرة، والمقصود بالضامرة المكنية أو ما يعبّر عنها بالمخفية أو المسكوت عنها إمّا لشهرتها، أو لأنّها تُخفى إخفاء تضليلا للقارئ، ويُحسن تحديد هذه الإحالات، للنظر في قضيتين اثنتين **أولاهما** المصادر المُحاوَرَة في النصّ، و**ثانيتهما** دراسة بنية الحجّة صياغة ونظاما في النصّ، وبصفة عامّة كيف استثمر صاحبُ النصّ هذه المصادر؟ وبأي فكر قرأها؟

وترتيبا على ذلك، يمكن أن نفهم دور الأستاذ منهجيا ومعرفيا وعلائقيا في مختلف الوظائف والأدوار التي ينهض بها، غير أنّ العملية التربوية لا تستقيم على هذا النحو فقط، باعتبار أنّ الطالب يمثّل حلقة مفصلية في الحقل العلمي، لذا لا بأس من الإشارة هنا إلى ما لاحظناه من خلل منهجي وتعثّر علمي في كتابات الطلبة وتحاريرهم المتعلّقة بمنهجية شرح النصوص وتفكيكها وتحليل المقال وطرائق فهمه وهو ما يقودنا إلى الاهتمام بالجانب المنهجي في الدرس الجامعي، وهو الجزء الثاني من مُقتضيات البحث الجامعي ومواصفاته.

8 - Beaud (Michel) **L, art de la thèse, comment préparer et rédiger une thèse de doctorat, un mémoire de D E A ou de maitrise ou tout autre travail universitaire** ; éd. La Découverte, Paris, 1985.P, 15

لقد بيّن الكاتب كيف يمكن أن ينجز الباحثُ بحثا أكاديميا يحترم فيه الضوابط العلمية والمنهجية.

III- سؤال المنهج / منهجية شرح النصّ وتحليل المقال أنموذجا

1- منهجية شرح النصّ

يُمكن أن يُبنى تحليل النصّ وشرحه وَفق هذه المنهجية:

المقدّمة

تتضمن تمهيدا للقضية المطروحة في النصّ، يفضي إلى التأطير الوثائقي فالتأطير المعرفي، ويبيّن التأطير الوثائقي للنصّ نوعيته، فقد يكون دراسة علمية من أطروحة، أو مقالا من كتاب، أو بحثا أكاديميا من مجلة، إلى غير ذلك من المصادر أو المراجع المعتمدة، مع ذكر عنوان المصدر، وتاريخ صدوره، أو طبعه. يضاف إلى ذلك نُبذة موجزة عن الكتاب تساعد على فهم النصّ وتنزيله في سياقه الفكري أو التاريخي أو المذهبي أو السياسي. أمّا التأطير المعرفي فيبرز الأفكار المركزيّة للنصّ والإشكالية المطروحة.

ويمكن أن نقترح طريقتين لصياغة المقدّمة: تتألّف الطريقة الأولى من عناصر ثلاثة قارّة:

أوّلا، التقديم المادي والتأطير، والمقصود بالتقديم المادي التعريف بالنصّ في المستوى الخارجي ببيان علاقته المادية بالأثر وبصاحبه دون الانسياق وراء ترجمة حياة المؤلف أو وصف العصر، ولا يكون ذلك ناجعا إلاّ إذا وقع تأطيره في سياق النصّ العام وذكر ما يمكن أن يُفيد متن التحليل.

ثانيا، التقديم المعنوي والتأطير، وهو ضبط للمشكلة المطروحة ضمن النصّ وتأطيرها لبيان علاقتها المحورية بالأثر.

ثالثا، ضبط مفاصل النصّ الكبرى، إذ يسعى الطالبُ في هذا القسم الثالث إلى ضبط المفاصل الكبرى التي يتألف منها النصّ في شكل مسترسل وفي جملة أو جملتين يتفادى فيهما ذكر حدود هذه المفاصل، إذ المسألة ليست عنصرة للنصّ بقدر ما هي استيعاب كلّي ومرحلي له. وتتمثل وظيفة هذا العنصر أوّلا في تفكيك المشكلية المطروحة في النصّ، وثانيا في التمهيد لمعالجة قضايا الجوهر في استرسال.

وتتركّب الطريقة الثانية لصياغة المقدّمة من ثلاثة عناصر أيضا:

أوّلا، تأطير النصّ في سياقه الأدبي أو التاريخي أو الحضاري أو الديني، ممّا يُخوّل للطالب قراءة النصّ قراءة معمّقة، وإدراك فرضياته الأصلية فيستطيع أن ينزّلها في إطار أوسع هو الغرض أو المحور

الذي تنتمي إليه وتندرج فيه، وتسمح هذه العملية بالشروع في المقدّمة بفكرة عامّة شاملة تحتوي النصّ، وقد يكون ذلك بإدراجه ضمن تيار مذهبي أو أدبي أو حضاري أو فلسفي أو تاريخي ونحو ذلك من الأغراض.

ثانيا، ضبط إطار النصّ والموضوع، فيتدرّج الطالب من التأطير العام إلى وضع النصّ في حيز مخصوص بتنزيله في الأثر تنزيلا ماديا ومعنويا.

ثالثا، عرض منطلقات النصّ، ويُستلهم هذا العنصر من تفاعل داخلي بين مكتسبات الطالب القبلية والنصّ المبسوط، فتتولد منطلقات منهج عام تتراءى من خلاله خطوط معالجة مسائل النصّ الجوهري.

الجوهر

يتمّ التحليل من داخل النصّ، ويكون ذلك بشرح أفكاره ومضامينه وتفكيك وحداته والكشف عن دلالاته وتحديد مصطلحاته. ويمكن التوسّل إلى ذلك بعبارات النصّ نفسه، مع إبراز مبررات آرائه وتوضيح رؤيته في المسألة. أمّا التحليل من خارج النصّ، فيكون بتوظيف المعارف المستمدّة من مصادر مختلفة تُغني التحليل وتُوسّعه ولا تخرج عن المطلوب، ويتمّ بعد استيفاء شرح المحور المعني.

يضاف إلى ذلك مرحلة النقد، ويمكن أن تكون في شكل تقييم لأفكار الكاتب أو وضع المسائل التي طرحها موضع النقاش، ببيان نسبيتها أو مفارقتها لغيرها عند مفكرين آخرين. ويمكن أن يبيّن الطالبُ إضافة الكاتب أو طرافة أفكاره وأهميتها في عصره إزاء السائد، ويمكن كذلك نقد أسلوب طرح الكاتب ونوعية خطابه الذي قد يكون خطابا سجاليا أو بيانيا أو إقصائيا أو استدلاليا أو حجاجيا أو نقديا ونحو ذلك من الأساليب الموظفة في النصّ.

ويمكن أن نقترح لإنجاز الجوهر تحليلا داخليا وتحليلا خارجيا:

أمّا التحليل الداخلي وإنجازه، فيتم في مستويين:

المستوى الأول: التفكيك، ويتمثّل في الشرح والاستنتاج، ويُستحسن في هذه المرحلة ضبط كلّ وحدة على ورقة مستقلة يتم فيها تفكيك مضامينها بتفهّم ألفاظها وسياقها وأبعادها، واستقراء النصّ استقراء توظيفيا في ضوء كلّ وحدة، بدراسة كامل النصّ أفقيا وعموديا وجمع شتات المادة التي تتعلق بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمشكلية الوحدة، مع استلهام الاستنتاجات انطلاقا من المادة المجموعة. وهذه العملية دقيقة تفرض التحري والابتعاد عن تسليط الأحكام الجاهزة.

أمّا **المستوى الثاني: التركيب أو إعادة البناء**، فهو موصول بالتأليف وتكون هذه العملية في مستوى المنهج والمعاني، ففي مستوى المنهج والمعاني يُركّز الطالبُ على عملية التبويب والتنظيم للمعاني التي اكتملت بالجمع والاستنتاج، فيستنبط بهذا التفجير الداخلي للنصّ منهجية توليدية يُحلل بمقتضاها وحدات المعنى في تسلسل[9].

أمّا التأليف، فلا قيمة له إلاّ إذا شُفع بعمليّة تتصل بالتحليل الداخلي ويكون في مستوى الفكرة الواحدة، ثم في مستوى الترابط الجدلي بين الأفكار المتعدّدة في إطار المحور الواحد، بينما التأليف العام يكون في مستوى التواصل بين المحور والمحور، وهذه المنهجية تُمكّن الطالبَ من تجنّب الوقوع في السلخ بإعادة معاني النصّ في قالب آخر دون مباشرتها بالتحليل أو الاستنتاج أو التأليف، كما تُجنّبه الوقوع في النسخ بأن يثبت بعض الجمل من النصّ، ويكتفي بالتعليق عليها فينزلق في السطحية والتلخيص والمحاكاة، كما تضمن هذه المنهجية الفهم الذي يُمكّن الطالبَ من التشبّع بالنصّ والانطلاق منه واستنفاذ أغراضه، وتضمن الإفهام بتفجير النصّ فتوليد معانيه ثم التأليف بينها دون إسقاط أو إهمال لبعض أبعاده التي يُمكن أن تثبتها محاوره ووحداته ومضامينه ومصطلحاته ونحو ذلك من المقاربات.

وحتى يكون العمل مكتملا منسجما، وجب أن يلتزم الطالبُ بالتحليل الخارجي وهو عنصر قارّ في كلّ تحليل نصّ يقع فيه إبراز أهمّ النتائج التي أدّى إليها البحثُ في عناصر الجوهر. ولا بدّ في هذا القسم من الاهتمام بالنزعة التأليفية النقدية في أسلوب تقريري نبيّن فيه موقفا صريحا واضحا من النصّ، وفي هذا الإطار يُخوّل للطالب تجاوز حدود النصّ بوضعه في تفاعل مع سياق أشمل وأوسع من هذا العنصر بقدر ما هو ضروري ينبغي ألاّ يطول، كما ينبغي ألاّ يؤدي إلى المجازفة بالرأي ولا إلى تلخيص الأفكار السابقة.

الخاتمة

هي عبارة عن ثبت تقريري يُركّز أهمّ نتائج العمل باعتباره وحدة مكتملة، ثم تنزيل هذه النتائج ضمن الأثر أو المحور أو الغرض، وفتح آفاق جديدة تنبثق من النصّ لتتجاوزه فتؤطر المسألة في نطاق أشمل.

9 - Bachelard (Gaston) **La formation de l'esprit scientifique ; Librairie scientifique**, Jean Vrin, Paris, 1965. Chapitre v, La connaissance unitaire et pragmatique comme obstacle à la connaissance scientifique.

2- منهجية تحرير المقال

المقدّمة

تُمثّل المقدّمة في تحرير المقال الجزء الأوّل منه، وبما أنّها المدخل إلى الجوهر فهي تكتسي قيمة كبرى، من حيث علاقتها بالطالب؛ إذ إنّها تكشف عن مدى قدرته على السيطرة على الموضوع، وتضعه في إطار نفسي يُمكّنه من مباشرة الجوهر بمعالم واضحة. ومن حيث علاقتها بالموضوع، فهي بسط لمنطلقات أفكار رئيسة تعالج ضمن الجوهر، وهي كذلك جزء حيوي يتفاعل مع أجزاء الموضوع الأخرى. ومن حيث علاقتها بالقارئ فهي تلعب دورا نفسيا لوضع القارئ في إطار الرغبة في الاطلاع على كامل العمل باهتمام وتركيز.

وللمقدّمة ثلاثة مفاصل:

مقدّمة المقدّمة، يكون القارئ خالي الذهن مما سيطالع، لذا يتعيّن على الطالب أن يبادر في هذا السياق إلى ضبط مدخل عام يتوخى فيه تنزيل موضوعه في إطار عام تفرضه طبيعة الموضوع. وقد يكون منطلقا عاما يتعلق بالموضوع، ويُمكّن في النهاية من تأطير القضية التي ستُعالج ضمن الجوهر، ومن فكرة عامّة حول الغرض الذي يرتبط به الموضوع، ومنه يقع التدرّج إلى ملامح الموضوع الكبرى، ثم محورا عاما يستوعب الموضوع ويُمكّن من تحديده في إطار مخصوص، ومنطلقا خارجيا قد يتمثّل في موقف ناقد مخالف للرأي الذي يطرحه نصّ الموضوع. ومنه يتدرّج إلى معالجة القضية المبسوطة في صلبه.

جوهر المقدّمة، ونقصد بذلك طرح الموضوع أو الإشكالية إثر الانتهاء من وضع هذا الإطار العام، فيتدرّج الطالبُ إلى بسط الموضوع ويكون إمّا بنسخ الموضوع كاملا إذا كان قصيرا أو جزئيا، وإمّا بعرض جديد لصياغة الموضوع صياغة مركزة ودقيقة تحافظ على مشكلية الموضوع وإبرازها، وهذه العملية حساسة تتطلب من الطالب جهدا وفطنة يقيانه الانزلاق في هوامش الموضوع، ويمكّنانه من الوقوف على أصل المشكلية.

خاتمة المقدّمة، تتمثّل في ضبط خطوط الجوهر الرئيسة وهي المفصل الثالث والأخير من المقدّمة يذكر فيه الطالبُ مراحل الجوهر الكبرى، والأفكار الموجّهة دونما إطالة أو حشو، ويكون ذلك عن طريق استفهام يُرغّب القارئ في الإقبال على المطالعة، وهذا المفصل يُمكّن الطالبَ من السيطرة منذ البداية على أهمّ القضايا التي ستُعالج في الجوهر.

الجوهر

هو الجزء الثاني والأساسي في تحرير المقال، يتمّ فيه طرح النقط الرئيسة التي يثيرها نصّ الموضوع وسؤاله ثم معالجتها، فمن خلال هذا الجزء تتجلى أبعاد الموضوع الكبرى ورؤية الطالب الشخصيّة في تفاعله مع المسألة المطروحة.

كيفية تخطيط الجوهر:

أولا، المنطلقات العملية، إذ يستلهم الطالبُ التخطيط للجوهر من تفاعل جدلي بين نصّ الموضوع المطروح والسؤال المثبت في مستوى أوّل، ثم من الرؤية الشخصية لنصّ الموضوع كاملا وإيصالها إلى القارئ بطريقة مقنعة في مستوى ثان. إنّ التخطيط للجوهر له مُعطيات عديدة أهمّها طبيعة الموضوع المطروح، ونوعية السؤال، ثم الرؤية الشخصية للطالب.

ثانيا، المنطلقات المنهجية، ويبدو عسيرا أن نقدّم تصورا واحدا نخضع على أساسه معالجة مختلف المواضيع المطروحة، فالأمر يتغيّر وَفق المُعطى والمطلوب وطبيعة الموضوع ومشكليته[10]، ويمكن حصر أهمّ أشكال مواضيع تحرير المقال في أربعة أنواع: **الجدل** و**الاستقراء** و**التحليل** و**المقارنة**.

الموضوع	الجدل		الاستقراء	التحليل	المقارنة
صيغة الموضوع	ناقش-حلّل وناقش-حلّل وعلّق-حلّل وابد رأيك.		إلى أيّ حدّ؟ إلى أيّ مدى؟	ا شر ح - حلّل - تبسّط- بيّن- أوضح- فسّر.	قارن- وازن.
العنصر الأوّل	ا لأ طر و حة (نعم)		كيف ذلك؟ (تقصّي جوانب القضية)	وصف	عناصر التشابه
العنصر الثاني	نقض الأطروحة(لا)	نعم ولا	لماذا ذلك؟ (تحليل العنصر الأوّل وتبريره)	تحليل	عناصر التباين

10 - **Dictionnaire de l, académie Française**, 5ème édition, eBOOKS, Paris ; 1798. P 1990. Méthode, Méthodique, Méthodiquement, Méthodologie.

العنصر الثالث	التأليف	النقد (حصر حدود القضية وبيان أبعادها مع عدم إغفال إغناء العمل)	تعليل	عناصر التوليد (عمل تقييمي نقدي فيه بيان للنتائج المقارنة وتعليل ذلك ورؤية شخصية تفيد: التقابل-التماثل-التعليل)

الخاتمة

نظرا إلى ما للخاتمة من أثر يبقى راسخا في ذهنية القارئ، فإنّها تلعب دورا مفصليا في تقييم المقال، من حيث ما ورد فيه من مضامين وأفكار ومواقف، وتتميّز الخاتمة الجيّدة بأنّها تلخّص الأفكار الرئيسة الواردة في المقال بأسلوب انتقالي يذكّر القارئ بأهمّ الأفكار المعروضة فيه، والقضايا المطروحة للدرس.

ويعمل الطالبُ على أن تنفتح خاتمة مقاله على آفاق جديدة ومقاربات قد تكون مباحث للحوار والدرس والنقاش بغية إغناء البحث العلمي.

وقد يستفيد الطالبُ من خلال هذين المقترحين في منهجية تحليل النصّ وتفكيكه وتحرير المقال بجملة من الفوائد منها:

أوّلا، وضع النصّ أو الموضوع في إطاره العام أو في سياقه الحضاري، وتدبّر مضامينه ورصد وحداته المعنوية وإدراك مدى ترابط الأفكار وتسلسلها لإبراز المسائل المطروحة، ولا يتأتى ذلك إلاّ إذا وقع الالتزام بالتوثيق والإعداد للتعامل مع الوثائق والرجوع إلى المصادر واستثمارها وَفق منهاج البحث العلمي.

ثانيا، يستخلص الطالبُ أنّ المهمّ في دراسة النصوص أو تحرير المقال هو الاهتمام بحقول الدلالات والإحالات والنظر في المسكوت عنه، وتقصّي الكلمات والمفاهيم والعبارات والمصطلحات والجُمل المشحونة بالمعاني، والنظر في القضايا المطروحة والمسائل التوابع، وتعميق المفاهيم وإغناؤها بالإضافات المعرفية من خارج النصّ أو الموضوع المدرج، فقد تكون هذه المعلومات مستمدّة من نصوص ودروس سابقة ومراجع مختلفة على غرار الدراسات والمقالات والمحاضرات.

ثالثا، ينعكس هذا المستوى من التعامل مع النصوص أو تحرير المقالات على تكوين الطالب من حيث اجتهاده في مزيد فهم النصوص والمواضيع والتعامل معها تعاملا واعيا، فيتخلّص من النظرة السكونية ومن التواكل والتقبّل الجاهز، ويقف بحقّ على الفهم الرشيد النقدي، وتوليد الأفكار ومحاورتها، وتوظيف المعلومات، والوقوف على المقاصد والأسباب المولدة للمعاني، والسعي إلى تحقيق المنطوق واستثارة المسكوت عنه والشكّ فيه[11]، والخروج من النصّ دون الخروج عنه، بُغية الوقوف على القضايا والإشكالات المحورية، وبيان أسباب طرحها ونتائجها.

رابعا، يتدرّب الطالبُ على مرحلة النقد العلمي البنّاء، وذلك بوضع القضايا التي يطرحها الموضوعُ أو الكاتبُ في إطارها التاريخي ومحضنها الحضاري، مع ضرورة إبراز نسبية أفكاره ومقولاته، وتقييم آرائه من وجهة نظر بعض الناقدين أو المدارس والتيارات الفكرية الحديثة، والإشارة إلى الإضافة النوعية للرأي الوارد في نصّ المقال أو متن النصّ من حيث أهميتها في عصرها أو حضورها في العصر الحاضر.

وقد ينتبه الطالبُ إلى إمكانية تطوير بعض الأفكار الواردة في النصّ أو تعديلها أو إبراز مواطن الإبداع فيها، أو نقد خطابها الذي قد يكون خطابا سجاليا أو خطابيا أو بيانيا أو إقصائيا أو نقديا أو حجاجيا. وهذا ما يُسهم في مساعدة الطالب على الترشّد الذاتي وتنمية ملكة النقد لديه، والإيمان بنسبيّة الأفكار وبحقّ الممارسة الفكرية البنّاءة المؤسسة على حركة الفكر وحقّ المشاركة وحريّة الاختلاف لا الخلاف.

VI- إكراهات منهجية / رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه أنموذجا

يعتبر البحث العلمي من أهمّ المظاهر المميزة لأيّ شعب من الشعوب، بل هو مقياس مدى تطوّرها أو تخلّفها، حيث أدركت كثير من الشعوب أنّ وجودها محكوم بما تنجزه في مجال البحث العلمي، لذلك أولت عناية فائقة بهذا المجال وبمن يشرف عليه من طلبة وباحثين ومؤسسات وإطارات ومسؤولين وهياكل بحث على غرار المخابر والوحدات والفِرق والمجمّعات والمؤتمرات العلميّة والندوات الدوليّة، وقد مارست الجامعات في مختلف الاختصاصات العلميّة والتقنيّة والرقميّة والعلوم الإنسانيّة بمختلف حقولها هذا الدور في جميع الدول التي حققت التقدّم في البحث العلمي[12].

---

11 - Descartes (René) **Discours de la méthode**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1856

أرسى رونيه ديكارت منهج الشكّ في العلوم الصحيحة والعلوم الإنسانية والمباحث العلمية الدقيقة ومناهج البحث العلمي، بناءً على أنّه آلية علمية تنهض على أسس موضوعية ودقيقة وَفق المواضيع التي يُنظر فيها.

12- وبالرغم من ذلك يبدو أنّ الساعة الآن هي ساعة إعادة النظر منهجيا ومعرفيا فيما أنتج أسلافنا وفيما كتبنا نحن فهما ونقدا ودرسا وتدريسا بُغية كشف مواطن مجهولة في نصوصنا.

انظر، الواد (حسين) **في مناهج الدراسات الأدبية**، ط2، منشورات الجامعة التونسية، مكتبة الأدب المغربي، تونس، 1985، ص39

ويبدو من المفيد أن نبيّن في هذا السياق، ما المراد بالبحث العلمي؟ ثمّ ما هي عوائقه؟ وهل من حلول ممكنة لتذليل هذه الصعوبات؟

لقد تبيّن لنا من خلال تجربتنا المتواضعة أنّ مختلف البحوث بتعدّد حقولها واختصاصاتها تشترك في أربعة أسس متداخلة ومتكاملة في آن هي الباحث، وموضوع البحث، وخطّة العمل، والنتائج البحثية، فالباحث يبذل قصارى جهده من خلال عملية فكريّة منظّمة، من أجل تقصي الحقائق في شأن مشكلة أو مسألة معينة تُسمّى موضوع البحث، باتباع منهج علمي منظّم نطلق عليه خطّة البحث، بُغية الوصول إلى جملة من الحلول والمقاربات أو إلى نتائج قد تكون صالحة للتعميم على القضايا المماثلة، وهو ما يُطلق عليه عادة بنتائج البحث، التي تعكس سعي الباحث الدؤوب إلى الإفادة من المعرفة التراكمية بمزيد إغنائها وتوسيع حقولها المختلفة ودفع حدودها إلى رحاب أوسع.

لكن إلى أيّ حدّ يمكن أن تتوفّر هذه الأسس في البحوث العلمية الراهنة؟ وهل يتسنّى لكلّ باحث أن يوفّق في التعامل مع هذه العناصر؟ وإلى أيّ حدّ يمكن أن ينخرط في هذا السياق البحثي؟

1- عوائق البحث العلمي

إنّ النظر المتأني في إشكالية المبحث العلمي يمهّد السبيل لفهم مضمون القضايا المطروحة، التي هي عبارة عن عوائق موصولة بالباحث وبالموضوع المبحوث فيه، فلكلّ بحث إكراهاته، ولكلّ باحث صعوباته على نحو ما يواجهه من تحديات تعترض مسيرته البحثية على غرار معاناته من نقص المصادر العلميّة وشحّها في الموضوع المبحوث فيه، أو عدم قدرته على الإفادة من أوعية المعلومات المتاحة، خاصّة الأوعية الرقمية، إمّا لعدم إلمامه بطرق الإفادة من التقنية الإلكترونية أو لعدم توفرها أصلا، إذ تفتقر بعض المكتبات وخاصة الجامعيّة إلى التقنية التعليمية، والاتّصال، والمعلومات البحثية، أو قد لا تمنح فرص ارتيادها طيلة أيّام الأسبوع مثلا، أو لعدم رغبة الباحث في بذل الجهد في التدريب عليها.

ولعلّ من صعوبات البحث العلمي التي يتورّط فيها الباحثُ ما تتمثّل في سوء التعامل مع ما يقف عليه من معلومات ومقاربات، إذ يقبل هذه الأفكار أحيانا على علّتها، ويعتبرها من الأمور المسلّمة ممّا يدلّ على أنّ قراءته لم تكن قراءة علمية واعية، فيكون بذلك قاصرا عن الربط بين ما يقرأ من مصادر مختلفة، وإدراك مظاهر النقص فيها وأوجه الاختلاف بينها، مثلما لا يكون قادرا على الوقوف على نقاط الائتلاف والاختلاف والدوال الفاصلة والواصلة، وهضم خطّة منجز هذه الأطروحات منهجا ومتنا، فلا يتسنّى له وقتئذ أن يضيف وينقد ويعلّق ويتجاوز هذه الأفكار المبحوث فيها، مثلما لا يمكنه الرّجوع بيسر إلى الأصول والمراجع

للوقوف على النصوص والمقارنة بينها ومحاولة استقرائها والوقوف على مراميها وأبعادها وبنيتها الظاهرة والضامرة.

وعادة ما يحتاج الباحثُ إلى الاطلاع على المزيد من الأبحاث والأطروحات والمقاربات والمصادر، فيضيف ذلك أبعادا أعمق لأبحاثه ونشاطه في تخصصه، ومن ثمّة فإنّه غالبا ما يلجأ إلى المراجع الثانوية التي غالبا ما يتعرّف عليها الباحث عن طريق مقالات عرض الكتب بالدوريات والموسوعات، لتجديد معلوماته، وتكمن الصعوبة في هذا السياق أنّ هذه الإضافات التي هي من باب الإنارة والإغناء وفتح الآفاق الجديدة تكون بلسان أجنبي؛ فالطالب الذي لا يتقن لغات متعدّدة لا يمكنه أن يكتب كتابة ناجحة عن موضوع كُتب عنه بلغات متعدّدة على غرار الألمانية والانجليزية والفرنسية، إذ لا يكفي الباحث أن يقرأ ترجمة أبحاثهم؛ لأنّ قراءة أفكار المؤلّف بلغته الأصليّة أفضل بكثير من قراءة أفكاره بلغة معرّبة، ونحن نعرف المزالق الفكرية الناتجة عن الترجمة من أهمّها أنّ كلّ ترجمة تعبّر عن فهم صاحبها وثقافته وفكره أكثر من التعبير عن فهم المؤلف وثقافته وفكره لذلك قيل: إنّ كلّ ترجمة هي خيانة.

ويعتبر الحيز الزمني المخصّص للبحث العلمي من أكثر المشاكل التي يواجهها الباحث باعتباره مطالبا أن ينهي عمله في مدّة محددّة، ويزداد تورّطا إذا لم يُحسن اختيار موضوع البحث الذي لا يستطيع أن يسيطر عليه وقتا ومنهجا ومتنا ومدوّنة، وأن لا يُحسن توزيع وقته توزيعا مُحكما يتناغم مع خطّة عمله، وفصول بحثه، والقضايا المطروحة فيه، حتى تصبح الكتابة سلوكا يوميا وتقليدا بحثيا متواصلا، وإن سقط في الانقطاع عن الكتابة مدّة طويلة فقد يبخل عن المواصلة وعن إيجاد الخيط الناظم بين أفكاره وأطروحاته دالاّ ومدلولا، بل لعلّ عدم القدرة الكافية في التحكّم في الوقت وفي تخصيص ساعات للبحث العلمي من ضمن ساعات العمل ممّا يدلّ على عدم وجود الرغبة، أو ضعف الإعداد البحثي لدى الباحث، وهي كلّها عوائق موصولة في تقديرنا بضعف مهارات البحث العلمي لدى الطالب.

والسمة المميزة في الإكراهات العلمية من خلال خبرتنا الشخصية وتجربتنا البحثية المتواضعة هي الضغوط النفسية المتزايدة والمتواترة؛ ذلك أنّ أسلوب الحياة العصرية يعدّ مصدرا رئيسا لهذه المعضلات، وأنّ هذه الضغوط قد تسبّب أشكالا مختلفة من المشاكل النفسيّة والاجتماعيّة التي تنعكس مباشرة على مردودية الباحث، ومدى تركيزه وإقباله على القراءة أو التحرير، فيكون بذلك عُرضة للضغوط بشكل مستمرّ، وقد تكون سببا لمشاعر القلق والانزعاج إلى درجة أن يبتعد الباحثُ كليّا عن العمل، بل قد يؤدي استمرارها إلى إنهاك الباحث نفسيا وبدنيا، وقد تعود مصادر هذه الضغوط النفسية إلى أسباب عائلية أو اجتماعية أو سياسيّة أو مادية أو فكرية أو علائقية أو معرفية موصولة بطبيعة البحث العلمي على نحو

ظروف العمل، وصراع الوقت، وطبيعة الموضوع، وخطّة البحث، وشحّ المراجع وتشتّتها، وغيرها من المصادر التي يمكن أن تشكّل عوامل ضغط على الباحث.

وقد تؤثر كلّ هذه الضغوط الواقعة على الباحث بشكل ما على جاهزيته إزاء العمل، بل قد تؤدي إلى عدم قيامه بمهامه وأدواره المتوقعة منه بالشكل الأمثل، ممّا يسهم في التقليص من دوره في تحقيق أهدافه البحثية نتيجة ما حصل من اضطراب على مستوى الإدراك المعرفي وصعوبات في تطوير المهارات البحثية، وضعف الثقة بالنفس، وهي من الإكراهات التي يتمخّض عنها صعوبة التعبير عن الأفكار، والتعليق عليها، وغياب النقد، وإبداء الرأي حتى يقبل الباحث ما يتّضح له صحته، ويردّ ما لم يبلغ الدرجة العلمية الموضوعية.

إنّ كثرة الأعباء اليومية، والانشغال بأكثر من مسؤولية، والضغوط النفسية والاجتماعية والسياسيّة والعائلية التي يعانيها الباحثُ، تُفضي كلّها إلى نتائج وخيمة تنعكس على الباحث والمبحوث فيه فيجد نفسه ممزّقا بين التدريس ومشاغله، والبحث العلمي وتحدّياته، فضلا عن غياب عوامل التشجيع والتحفيز لإجراء البحوث العلمية، كلّها من الأسباب المباشرة المعطلة للبحث العلمي.

صحيح أنّ الباحث هو المسؤول عن بحثه بدرجة أولى وهو مدعو إلى الإضافة واكتشاف مواطن بحثية جديدة، وإبراز مشكلات إبستيمية تحتاج إلى التحليل واقتراح المقاربات اللازمة، وصحيح أنّ البحث هو سبيل مهمّ للإحالة على مستوى الباحث العلمي والنفسي والاقتصادي والاجتماعي، مثلما يعتبر مرآة عاكسة للمؤسسة الجامعية التي ينتمي إليها الباحث وأعضاء الهيأة التدريسية فيها، وبصورة خاصة الأستاذ المشرف على الطالب، ولكن هذا لا ينفي أنّ موضوع البحث في حدّ ذاته قد يكون موصولا ببعض الصعوبات على غرار عسر الحصول على المصادر والمراجع، أو قد تكون غير متوفرة بالصورة الكافية، أو قد يكون الأمر متمثّلا في عسر استيعاب المصدر، أو في الاطلاع على مراجع بلغة أجنبية، أو في رداءة الترجمة، وهو ما يجعل الباحث يبحث عساه يقف على نصوصها الأصلية حتى يتجاوز هذه الصعوبة.

ويبدو الأمر مشكليّا، خاصة عندما يقرأ الباحث ويُجمّع ما أمكن جمعه من معلومات متعلّقة ببحثه، وما سجّله من شواهد، وقد يحدث للطالب ما يجعله يُدخل تعديلا إذا كانت المادة التي جمعها توحي بهذا التحوير، وما دام الأستاذ المشرف موافقا على ذلك، وأحيانا بأمر منه، وقد يشمل هذا التعديل حذف بعض الأبواب أو الفصول، أو إضافة أبواب أو فصول جديدة، مثلما يمكن أن يكون هذا التغيير بالتقديم أو التأخير في الأبواب أو الفصول، وهي من الأمور التي تيسّر البحث العلمي وتجوّده، وتسهّل على الباحث، وتسهم في إنجاح الخطّة البحثية، وتدلّ على سلامة الإشراف والتوجيه، لكن كلّ هذا التعديل لا يمكن أن يستقيم إلاّ في ظلّ وجود المصادر والمراجع التي في ضوئها سيجوّد الباحثُ عمله وينقّحه ويقوّمه، ناهيك أنّ مكتبتنا خاصة

الجامعية منها تشكو أحيانا نقصا فادحا من حيث المدوّنة الضرورية للبحث العلمي، سواء في مستوى الكتب، أو في مستوى الدوريات والقواميس، أو في مستوى الوسائل الأخرى كثيرا ما يعسر أن تُلبّي الطلب وتوفّر الكتب على ذمّة الباحثين.

وإذا جمعنا ما سبق من ملاحظات ومقاربات أمكننا القول، إنّ هذه الإكراهات الموصولة بالبحث العلمي منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو موضوعي، بيد أننا ولئن أشرنا إلى أهمّ هذه الصعوبات، فإنّ السؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل يمكن للباحث أن يتجاوز هذه العوائق البحثيّة، وأن يجد حلولا ممكنة لتذليل هذه الصعوبات؟

2- الحلول الممكنة

ينبغي على الباحث الجامعي، وطالب الماجستير أو الدكتوراه بصفة خاصّة، أن يقرأ بنهم وعمق، مثلما يجب أن يلمّ بكلّ ما كُتب في موضوعه من بحوث ومقاربات مهمّة، وهو مطالب أكاديميا أن يفهم فهما سليما آراء الغير وأفكارهم حتى لا يقع في أخطاء جسيمة بسبب سوء الفهم أو الخطإ في النقل أو التأويل على غير الوجه الذي أراده صاحبُ الفكرة، يضاف إلى ذلك أن لا يُضيع وقته في قراءة الكتب غير المعتمدة في بحثه، وإنّما يجب عليه أن يطّلع على جملة المصادر التي لها اتّصال بموضوعه مهما كانت قيمتها وأهمّيتها.

ونرى أنّ الباحث لا يفلح في هذا السياق البحثي إلاّ إذا تسلّح بالرغبة، وهي شرط أساسي للنجاح في كلّ عمل، وشرط في البحث العلمي بصورة خاصّة، لأنّ طريق البحث طويلة وشاقة، ومثل هذه الطريق لا تقطع بالرغبة وحدها في تقديرنا، بل وجب أن يصحب الرغبة الصبر والثبات إزاء إكراهات البحث العلمي وعوائقه، يضاف إلى ذلك التبصّر في انتقاء المصادر والمراجع، والذكاء في التحليل وخاصّة تنظيم المادة، والاستقلال في البحث، والقدرة على ابتكار خطة مناسبة للعمل، لأنّ هذه القدرة هي دليل على سيطرة الطالب على الموضوع وعلى جوانب الصعوبة فيه، مما يُفضي إلى حقيقة مهمّة تتمثّل في شعور الباحث بأنّه سيّد بحثه وخالقه.

ومن هنا نقدّر مهمّة الباحث الموفّق، والقادر على تجاوز صعوبات البحث الجامعي إذا سعى إلى أن يوفّر المناخ اللائق، والسياقات النفسية والاجتماعية والبحثية التي تنخرط في إنجاح عمله، وتحفّزه على الإبداع في البحث والتعمّق فيه والتألّق في التحليل، وتوفير الظرف الزماني والمكاني المناسبين للموضوع وللباحث نظرا إلى ما يتطلبه البحث من تركيز وعزلة علمية، وحتى يتيسّر له ذلك يجب على الباحث أن يحدّد موضوع دراسته تحديدا واضحا ودقيقا، فقد يكون الموضوع مهمّا وطريفا لكن لا يصلح أطروحة ماجستير أو دكتوراه بقدر ما يكون صالحا لمقال علمي مثلا، حيث يجب أن تتضح في ذهن الباحث أسس موضوعه

وعناصره الرئيسة وبعض مصادره ومراجعه والأهداف التي يروم أن يحققها من هذا العمل، وتحديد طبيعة المنهج الذي يجب أن يُتّبع وخطّة البحث وأدواته، والقيام بدراسة معمّقة تمكّنه من الإلمام بالمعلومات والمصادر والمراجع الموصولة ببحثه، ومدى مناسبة كلّ ذلك للوقت المتاح للعمل والمخصص للبحث، لعلّه بذلك يتسنى له التغلّب على الصعوبات المنهجية والاجتماعية التي من الممكن أن تواجهه.

ومن المقاربات البحثية التي في ضوئها يتسنى للباحث أن يتجاوز بعض الصعوبات المنهجية أن يسجّل على وجه واحد من المذكّرة التي يستعملها، ويحرّر في أسفلها اسم المصدر أو المرجع أو الدورية التي استمدّت منه المادة، وكذلك اسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة، وعليه فإنّ الباحث مطالب بأن يجمع من المعلومات والمادّة كلّ ما اتّصل بموضوعه من قريب أو من بعيد، ولمزيد التنظيم يمكن أن يضع الباحث كلّ البطاقات أو الأوراق الخاصة بكلّ باب من أبواب أطروحته في ظرف خاصّ يكتب عليه عنوان الباب، وكلّما احتاج إلى إضافة ورقة أو أكثر أضافها، وبذلك يستطيع الباحث أن يسيطر على بحثه وأن يتجاوز بعض العوائق البحثية على مستوى المصادر والمراجع، وخطة البحث، والوقت المخصص لإنجاز عمله.

وفي تقديرنا أنّ من أبرز المقاربات التي تسهم في إيجاد حلول للعوائق البحثية، هو العمل بنظام التفرّغ للبحث العلمي على غرار ما هو معمول به في جامعات العالم، وهو ما يتيح للباحثين فرصة التفاعل مع المؤسسات البحثية والجامعية، ويعزّز انطلاقهم للبحث، ويُغني خبراتهم، ويطلعهم على آفاق بحثية جديدة، ويحثهم على مزيد التعمّق في مجال التخصّص وذلك من خلال تحفيزهم على المشاركة في الندوات والمؤتمرات، وزيادة التحصيل المعرفي سواء داخل الوطن أو خارجه، ولعلّ هذا يعدّ مخرجا من صعوبات البحث العلمي المتمثل في قلّة التعاون بين الجامعات والجهات المستفيدة من البحث العلمي، يضاف إلى ذلك نقص التمويل الكافي لدعم البحوث ونشرها وقلّة تعاون الباحثين في إجراء بحوث مشتركة في شكل عمل فرقي يسهم في إغناء المعرفة، والتقدّم العلمي، والنهوض بالبحث العلمي، وجعل الباحث عضوا فاعلا في عالم الإبداع والحضارة، لا مستوردا مستهلكا لإنتاج الآخرين، إنّ ما أشرنا إليه من مقاربات وحلول في هذا العمل هو عبارة عن نماذج وأمثلة على وجه الذكر والاعتبار لا غير.

وبناء على ذلك، نقدّر أنّ مهمّة النهوض الشامل بالبحث العلمي، هي مهمّة جماعية وتكاملية ذاتية وموضوعية، تقع على عاتق جميع فعاليات المجتمع ومؤسساته بتوفير مستلزماته واستحقاقاته والمناخ المواتي لتطوره ونهوضه، بدءا من الإحاطة بالباحث ماديا ونفسيا واجتماعيا ومعرفيا وصولا إلى توفير بعض الضروريات البحثية على نحو الدوريات والمصادر والمراجع والقواميس والمجلات العلمية، وتوفير آخر ما يصدر في الاختصاص في مختلف اللغات من خلال اشتراك سنوي لمدرسة الدكتوراه وهياكل البحث في هذه المجالات، وإنشاء دار نشر تابعة للجامعة، وتوفير منح تشجيعية وتحفيزية للباحثين باعتبارهم

مخزونا استراتيجيا مهمّا ومتجددا في صنع النهضة العلمية والتقنية، ولا يكون ذلك في اعتقادنا إلاّ في ضوء العمل على تكامل المؤسسات البحثية داخل الوطن العربي والإسلامي وخارجه من خلال الإشراف المزدوج على الأطاريح وإدراج خطة أستاذ زائر والاتصال المباشر بين الأقسام المختصة، والتعاون المباشر بين الباحثين في تحقيق مشاريع البحث العلمي، وإيجاد حلول علمية بُغية تذليل الصعوبات التي يواجهها الباحث.

أفضت بنا دراستنا لهذا الموضوع، إلى جملة من المستخلصات أبرزها التحديات والإكراهات التي يواجهها الباحث في اختصاصه، وإمكانية تجاوز هذه العوائق إذا توفرت الإرادة والرغبة، يضاف إلى ذلك ضرورة توفير الحوافز المادية والأدبية والإحاطة النفسية للباحث، من قبيل أن تتحمّل الجهات الرسمية وسلطات الإشراف مسؤوليتها كاملة إزاء البحث العلمي، ولا يستقيم ذلك إلاّ إذا تفرّغ الباحثُ، حتى يتسنى له أن يعتني ببحثه، وأن يسهم إسهاما فعّالا في تجويد المعرفة والإسهام في الكشف عنها، والانخراط في المؤتمرات والندوات الدولية في اختصاصه، وإنهاء أطروحته في الوقت المحدّد، وقد يكون هذا التفرّغ الجامعي أداة إنمائية للتعليم العالي والبحوث الجامعية والمجتمع عامّة.

الخاتمة العامّة

ألمعنا في هذه الورقة البحثية إلى أربع مقدّمات مهمّة موصولة بالدرس الجامعي في التعليم العالي، ورسالة الماجستير، وأطروحة الدكتوراه، وما يمكن أن يتعلق بهذه الحقول البحثية من إكراهات، وتتعلّق المقدّمة **الأولى** بالباحث وما يجب أن يتوفّر فيه من مواصفات وشروط علمية ومنهجية على غرار الموضوعية، والانفتاح الفكري، وأهمية الحوار والنقد، لعلّه بذلك يتخلّص من النظرة السكونية ومن التواكل والعجز والأفكار الجاهزة، خاصة إذا تقصّى الكلمات والعبارات والجمل المشحونة بالمعاني، واستعرض القضايا المطروحة والمسائل الثانوية بصورة تجمع بين مضمون الدرس والسعي إلى تحقيق المنطوق وفهمه وفضح المسكوت عنه والتعبير عنه. يضاف إلى ذلك ما يمكن أن يحققه الأستاذُ من مساعدة للطالب على الترشّد الذاتي وتنمية ملكة النقد لديه ودفعه إلى التفوق والإبداع والإضافة.

أمّا المقدّمة **الثانية**، فهي وثيقة الصلة بالدرس الجامعي في مختلف حقوله، من حيث شرحه وطرائق التعامل معه، وسبل فهمه، ورصد معانيه الجوهرية ووحداته المعنوية، وإدراك مدى ترابط الأفكار وتسلسلها لإبراز المسائل المطروحة، والعمل على استنطاق الكلمات المفاتيح والمصطلحات المعتمدة في بنية النصّ، وتعرّف السياقات التي وردت في ثناياه تلك الكلمات والمصطلحات والمنازع الفكرية.

وتتمثّل المقدّمة **الثالثة** في الإشارة إلى ما يجب أن يتمثّله الطالب من عُدّة منهجية في شرح النصوص وتحليل المقال، حتى يتلافى عديد الهنات والنقائص، لعلّه بذلك يرقى منهجيا ومعرفيا في تعامله مع الوثائق والنصوص، ويكون عمله أكاديميا يستفيد منه الدارس.

وأشرنا في المقدّمة **الرابعة** إلى عوائق البحث العلمي، وهي صعوبات البعض منها يعدّ موصولا بالباحث على غرار كثرة الأعباء والانشغال بأكثر من مسؤولية، وعدم وجود الرغبة البحثية، وضعف مهارات البحث العلمي لديه، والتردد في اختيار موضوع البحث، ونحو ذلك من التحديات والإكراهات. والبعض الآخر يتعلّق بالبحث على نحو شحّ المصادر والمراجع، وصعوبة الترجمة، ومشكلية خطة البحث ومنهجه، وقس على ذلك عديد القضايا الموصولة بالبحث العلمي. واقترحنا بعض الحلول الممكنة على غرار إيلاء البحث العلمي الأهمية المطلوبة والأولوية التي يستحقّها منهجا ومتنا ومدوّنة ووقتا كافيا واستعدادا نفسيا واجتماعيا وماليا من خلال مقاربات علمية وموضوعية.

إنّ هذه المقدّمات تعمل على تحفيز الطلبة والباحثين، وحثّهم على الالتزام بالتوثيق والتدقيق، وإعدادهم للتعامل مع الوثائق، والرجوع إلى المصادر بدقّة واستثمارها وَفق مناهج البحث العلمي الجاد ومقتضيات الأمانة العلمية، ويمكن أن نقول إنّ المباحث في العلوم الإنسانيّة والدرس الجامعي بصورة خاصّة في التعليم العالي بالبلاد التونسية قد عرف تقدّما ملحوظا في نوعية المسائل التي تُدرّس، وفي المنهج المتوسّل به في التدريس، وفي المواضيع التي تُعالج في رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه في أقسام اللغة والآداب والحضارة العربية.

المصادر والمراجع[13]

I- العربية

* الحسن (طلال) **مناهج تفسير القرآن، من أبحاث كمال الحيدري**، ط1، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، طهران، [د. ت].

* الرومي (فهد بن عبدالرحمان بن سليمان) **منهج المدرسة العقلية في التفسير**، ط2، إدارات البحوث العلمية، السعودية، 1983

* الشامي (عبدالله محمّد) **أصول منهج البحث العلمي وقواعد تحقيق المخطوطات**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2012

* صليبا (جميل) **المعجم الفلسفي**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982

* عبد التواب (رمضان) **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1985

* العسكري (عبود عبدالله) **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ط2، دار النمير، دمشق، سورية، 2004

* قراملكي (أحد) **مناهج البحث في الدراسات الدينية**، تعريب سرمد الطائي، ط1، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، لبنان، 2004.

* المحاسبي (الحارث بن أسد) **العقل وفهم القرآن**، تحقيق حسين القوّتلي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1971

* الواد (حسين) **في مناهج الدراسات الأدبية**، ط2، منشورات الجامعة التونسية، مكتبة الأدب المغربي، تونس، 1985

II- الأجنبية

* Bachelard (Gaston) **La formation de l,esprit scientifique ; Librairie scientifique**, Jean Vrin, Paris, 1965.

* Beaud (Michel) **L, art de la thèse, comment préparer et rédiger une thèse de doctorat, un mémoire de D E A ou de maitrise ou tout autre travail universitaire** ; éd. La Découverte, Paris, 1985

* Descartes (René) **Discours de la méthode**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1856

* **Dictionnaire de l, académie Française**, 5ème édition, eBOOKS, Paris ; 1798. P 1990

* N, DA (Paul) **Recherche et Méthodologie en sciences sociales et humaines**, éd. L, Harmattan, Paris, 2015

13- رتّبنا هذه المصادر والمراجع ترتيبا ألفبائيا دون اعتبار(ال) التعريف.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021